KESİT AKADEMİ DERGİSİ
ISSN: 2149-9225
The Journal of Kesit Academy

Dr. Öğr. Üyesi Mohamadou Aboubacar MAİGA
Tokat Gaziosmanpaşa Üniversitesi,
İslami İlimler Fakültesi, Arap Dili ve Belagati
aboubacar.mohamadou@gop.edu.tr

ظاهرة الحنين في الشعر العربي الإفريقي
(غرب إفريقيا أنموذجا)

THE PHENOMENON OF NOSTALGIA IN AFRICAN ARAB POETRY (WEST AFRICA EXAMPLE)

AFRİKA ARAP ŞİİRİNDE NOSTALJİ OLGUSU (BATI AFRİKA ÖRNEĞİ)

Geliş / Submitted / Отправлено: 10.02.2021
Kabul / Accepted / Принимать: 22.03.2021
Yayın /Published / Опубликованный: 25.03.2021

Makale Türü: **Araştırma Makalesi**

Article Information **Research Article**
Информация о Статье **Научная Статья**

Atıf / Citation / Цитата

Maiga, M. A. (2021). ظاهرة الحنين في الشعر العربي الإفريقي (أنموذجا إفريقيا غرب). *Kesit Akademi Dergisi*, 7 (26), 49-69.

Maiga, M. A. (2021). The Phenomenon of Nostalgia in African Arab Poetry (West Africa Example). *The Journal of Kesit Academy*, 7 (26), 49-69.

10.29228/kesit.49543

Bu makale İntihal.net tarafından taranmıştır.
This article was checked by Intihal.net.
Эта статья была проверена Intihal.net

intihal.net

KESİT AKADEMİ DERGİSİ
ISSN: 2149-9225
The Journal of Kesit Academy

ظاهرة الحنين في الشعر العربي الإفريقي (غرب إفريقيا أنموذجا)

THE PHENOMENON OF NOSTALGIA IN AFRICAN ARAB POETRY (WEST AFRICA EXAMPLE)

AFRİKA ARAP ŞİİRİNDE NOSTALJİ OLGUSU (BATI AFRİKA ÖRNEĞİ)

Dr. Öğr. Üyesi Mohamadou Aboubacar MAİGA

مخلص: اهتمّ الشعبُ الإفريقي بالأدب العربي بمختلف فنونه، خصوصا فنّ الشعر العربي. فقد أولاهُ عناية خاصة. ولا شكَّ أنّ هذا الشعر المقروض من قبل هذا الشعب يكاد يشمل كلّ أغراض الشعر العربي من مدحٍ، وفخرٍ، وعتابٍ، ووصفٍ، وإظهارِ حزن، وأَسَى، وشوقٍ وحنينٍ وغيرها. ومن هذا المنطلق هدفت هذه الدراسة إلى تناول ظاهرة الحنين في شعر إفريقيا جنوب الصحراء، وبالتحديد منطقة غرب القارة، كما تسعى إلى تجلية معاني الحنين، وموضوعاته المختلفة، التي اشتمل عليها، مع إلقاء الضوء على دواعي شعر الحنين، وأسباب ذيوعه في أدب المنطقة. ولقد توصل الباحث من خلال الدراسة إلى جملة من النتائج منها: أنّ شعراء الأفارقة قد تطرَّقوا إلى ظاهرة الحنين في أشعارهم المختلفة، ودخلوا أسوارها من أوسع نطاق، وبأصدق عاطفة، معبرين عن مشاعرهم بكلمات ساحرة، وألحان عذبة. فالشوقُ والحنينُ إلى الأهلِ، والأحباب والأوطانِ من أهمّ موضوعاتِ الحنينِ التي زخرَ بها الشعر العربي الإفريقي. وكان الرحلةُ، والاعتقالُ، والتهجيرُ ضِمنَ أسبابِ ذيوعِ هذا اللونِ الشعري في إفريقيا الغربيةِ. وتجدرُ الإشارةُ إلى أنّ أهمّ معاني الحنينِ في شعر المنطقةِ هي شوقُ الشاعر الإفريقي إلى وطنه، وتصويره مشاهد الوداع التي فطرت قلبه، وأثر هذه الغربة في نفس المغترب، ووصف ما يعانيه المغترب في أثناء اغترابه، وتذكُّره أيَّامه السعيدة في الوطن، وملاعب الصبا والشباب وغيرها.

الكلمات المفتاحية: الاشتياق، إفريقيا، الغربي، شعر، حنين، الأهل، الوطن.

Abstract: Africans were interested in Arabic literature in its various arts, especially the art of Arabic poetry, and they paid special attention to it. There is no doubt that this poetry written by these people includes almost all the aims of Arabic poetry, including praise, pride, rebuke, describing and showing sadness, sorrow, longing, nostalgia, and others. From this standpoint, our study aimed to address the aspect of nostalgia in the poetry of sub-Saharan Africa, specifically the western region of the continent, as well as seeking to demonstrate the meanings of nostalgia and its various themes that it included while shedding light on the motives of nostalgia poetry and the reasons for its spread in the region's literature. The researcher has reached through the study several results, including that African poets have touched on the phenomenon of nostalgia in their various poems, and entered its walls from the widest range and sincerest emotion, expressing their feelings with charming words and sweet melodies. Longing and nostalgia for a family loved ones and homelands is one of the most important themes of nostalgia that abounds in Arab-African poetry. The trip, arrest, and deportation were among the reasons for the spread of this poetic color in Africa. It should be noted that the most important meanings of nostalgia in the region's poetry are the longing of the African poet for

his homeland, his depiction of farewell scenes that broke his heart, the effect of this alienation on the soul of the expatriate, and the description of what the expatriate suffers during his expatriation, and his remembrance of his happy days at home, youth and youth playgrounds, and others.
Keywords: Longing, Africa, West, Poetry, Nostalgia, Family, Homeland

Öz: Afrikalılar, Arap edebiyatının çeşitli sanatlarıyla, özellikle de Arap şiir sanatı ile ilgilenmişlerdir Bu insanların tarafından yazılan şiir, övgü, gurur, kınama, üzüntü, sıkıntı, özlem, nostalji ve diğerleri de dâhil olmak üzere Arap şiirinin hemen hemen tüm amaçlarını kapsamaktadır. Bundan hareketle çalışmamız, Batı Afrika bölgesinde yazılan şiirlerde nostalji olgusunu ele almayı, nostaljinin anlamlarını ve çeşitli temaları, nostalji şiirinin motifleri ve bölge edebiyatında yayılmasının nedenlerini üzerinde durmayı amaçlamaktadır. Araştırmamızın sonucunda, elde ettiğimiz bulgulardan, Afrikalı şairler, çeşitli şiirlerinde nostalji olgusunu samimi duygularla ve kapsamlı bir şekilde ele aldıklarını, etkileyici sözler ve anlamlarla onu ifade ettikleri görülmektedir. Afrika Arap şiirinde bulunan nostaljinin en önemli temalarından biri aileye, sevdiklere ve vatanlara duyulan özlemdir. Bölgede bu tür şiir yayılmasının sebepleri arasında seyahat, tutuklama ve sınır dışı edilme gibi nedenler sayılabilir. Şairlerin şiirindeki nostalji olgusunun en önemli anlamlarından ise Afrikalı şairin anavatanına olan hasreti, kalbini kıran veda sahneleri tasviri, gurbetin gurbetçinin üzerindeki etkisi, gurbetçinin yurtdışında yaşadıkları, gençlik dönemi ve mutlu günlerini hatırlaması gibi anlamlar olduğu da unutulmamalıdır.
Anahtar Kelimeler: Hasret, Afrika, Batı, Şiir, Nostalji, Aile, Vatan

مقدمة

لقد حمل الإسلام معه حين انتشاره وتوغله في أقاصي البلدان الإفريقية، إلى جانب علومه ومعارفه الخاصّة به، علوم اللغة العربية بصفة عامة، وأدباً عربيّاً متمثلا في جملةٍ من النصوص الشعريَّة، والنثريَّة، التي أصبحت من لوازم حذق اللُّغة العربيَّة، ووسائل التوسُّع في فهم القرآن الكريم، وتذوُّق بلاغته السامية. عكف الشعب الإفريقي على هذه العلوم العربية بصفة خاصة تعلُّما وتعليما. فأصبح لديه إلمام كافٍ بها. والشعر العربي بمختلف أغرضه، هو أحد الفنون التي اهتمَّ بها الأفارقة.

والغزو الأجنبيُّ الذي تعرض له الشعب الإفريقي من قبل المستعمرين عقب اعتناقهم للدين الإسلامي، بالإضافة إلى الحروب القبيلة في مناطق شتى من إفريقيا، مع طبيعة بعض المناطق القاحلة، وشبه الجافةٍ، أدَّت كلّ ذلك إلى هجرةِ بعض السُّكان خارج بلادهم، حيث الطبيعةُ الخلابة، والساقية، والنخيل، والجروف. وقد انصبَّ معظمُ المغتربين بمرور الزمنِ في الحنين إلى أرض الوطن، والأهل، والأحبَّةِ، وإلى أيَّامِ صباهم، والأماكن التي كانت لهم تعلقٌ بها. وترجع أهمية هذه الدارسة في أنها تتناول ظاهرة الحنين، والشوق في الشعري العربي الإفريقي من منطقة الغرب الإفريقي، وتحاول الوقوف على ملامحها، والتعرُّف على أهمِّ من أبدعوا، وأثروا السَّاحة الأدبية العربية الإفريقية بروائع الحنينِ.

وقد اشتملت هذه الدراسة بالاضافة إلى المقدمة، والخاتمة، مبحثين. تناول الباحث في المبحث الأول مفهوم الحنين من جانبيه اللغوي والاصطلاحي، ووضحّ أسباب ذيوعه، وبواعثه المختلفة في الشعر العربي الإفريقي. أما المبحث الثاني فقد خصص لدراسة موضوعات الحنين، وأهمّ معانيه لدى الشعراء الأفارقة. وجُرّدَ فيه أمثلة من مختلف قصائد ودواوين شعراء المنطقة. أما الخاتمة فقد أوجزت فيها أهمَّ النتائج التي توصل إليها الباحث من خلال دراسة شعر الحنين. واعتمد الباحث في بحثه هذا على المنهج التحليلي الوصفي.

1. مفهوم الحنين، أسباب ذيوعه ودواعيه في الشعر العربي الإفريقي

1.1. مفهوم الحنين

استخدمت العرب لفظ الحنين مرتبط بالناقة، فحنين الناقة تعني صوتها إذا اشتاقت، ونزاعها إلى ولدها من غير صوت على ما أورده الجوهري (ت.393هـ) في كتابه الصحاح (الجوهري، 1990: 5/ 2104). وسقبه في الإشارة إلى هذا المعنى اللغوي الخليل بن

أحمد الفراهيدي (ت.170هـ)، وزاد بأن استشهد على كلامه بقول الشاعر رؤبة بن العجاج (ت:145هـ): (الفراهيدي، 1409: 329)

حنّتْ قُلوصي أمسِ بالأُردُنّ حِنّي فما ظُلِمتِ أنْ تَحِنّي

وفي لسان العرب: حنت الإبل تعني نزعت إلى أوطانها وقيل حنينها نزاعها بصوت وبغير صوت، والأكثر الحنين بالصوت. حنت الناقة إلى أُلاَّفِها فهذا صوتٌ مع نزاعٍ (ابن منظور، 1990: 129/13). يتضح مما سبق ذكره أن صوت الناقة يسمى حنيناً؛ لذلك سُمِّيت الناقةُ الحانَّةُ. فيقال: "ماله حانة ولا آنة". قال العلاَّمة جار الله الزمخشري (ت.538هـ): "والحنين للنَّاقة والأنين للشاة، يقال: ماله حانة ولا آنة" (الزمخشري، 1998: 1/ 145؛ الميداني، 1987: 255/3).

ومن معاني الحنين أيضا الشوق وتلهُّف النفس. قال الجوهري: الحنين الشوق وتوقان النفس، تقول: حنّ إليه يحنّ حنينا فهو حانٌّ (الجوهري: 1990: 5/ 2104). وعند ابن دريد (ت.321هـ): حنّ يحنّ حنينا، أي اشتاق (الأزدي، 1344: 164). ويكون الحنين للوطن كما قال العلامة جار الله الزمخشري: حنن يحنّ إلى وطنه، وقد يكون الحنين أيضا لغير العاقل (الزمخشري، 1998: 1/ 145). قال العلامة ابن منظور: حنّ إليه، أي نزع إليه. وفي الحديث الشريف أنّ النبي ﷺ كان يصلي إلى جذع في مسجده، فلما عمل له المنبر صعد عليه فحنّ إليه، أي نزع واشتاق (ابن منظور، 1990: 129/13). هذا من الناحية اللغوية. أمّا الحنين من الناحية الاصطلاحية فهو الشوق وتوقان النفس مع الطرب والتنغيم. وهو يكشف عن مدى معاناة الإنسان في ديار الغربة بعيداً عن وطنه، فالحنين يرضي شغف النفس، ويشبع حب الناس للأوطان.

ظاهرة الحنين باب قديم في الشعر العربي، وتختلف صورتها من عصر إلى عصر، وإن جاز لنا أن نجعل لشعر الحنين بداية، فيمكن القول بأن أوّل من حنّ إلى الدّيار وبكى عليها في الشعر العربي هو الشاعر ابن حِذام (شاعر جاهلي لا يعرف تاريخ وفاته). فقد أشار ابن سلاّم الجمحي أحد النقّاد القدامى إلى بيت للشاعر الجاهلي امرئ القيس ابن حجر (ت. 540م) يحنّ فيه إلى الدّيار، كما حنّ قبله ابن حِذام:

عُوجا على الطللِ المَحيلِ لأنَّنا نبكي الديَّارَ كما بكى ابنُ حِذامِ

(امرئ القيس1985: 114) فالبكاء على الديار هنا يدل على شدة الشوق والحنين إلى الذكريات الماضية. والمتتبع لقصائد شعراء الجاهلية المشهورة (المعلّقات) يجد هؤلاء الشعراء قد استأنفوا قصائدهم بمقدمات الحنين إلى الديار والأحبة ومواطن الذكريات، وما ذلك إلاّ على صدق العاطفة والشعور بالانتماء والحنين لمعايشة ذلك الماضي.

ولما جاء الإسلام بدى شعر الحنين في صورته الجديدة المتمثلة في بكاء المسلمين ديارهم عندما يخرجون مجاهدين في سبيل الله، ونعوهم غربتهم وأنفسهم. ومصداق ذلك كثير في الشعر الإسلامي. ويمكن أن نمثل له بقصيدة للشاعر مالك بن الريب التميمي (ت. 57هـ) الذي كثيرا ما كان الحنين إلى أهله ووطنه يحزّ في نفسه، وهو في بلاد الترك، فيثيره شجو الحمام، ويحرك في نفسه عواطف الحنين فيقول:

تُذَكِّرُني قِبابُ التركِ أَهلي وَمَبداهُم إِذا نَزَلوا سَنَاما

وَصَوتُ حَمامَةٍ بِجِبالِ كِسّ دَعَت مَع مَطلَعِ الشَّمسِ الحَماما

فَبِتُّ لِصَوتِها أَرِقاً وَباتَت بِمَنطِقِها تُراجِعُني الكَلاما

(التميمي، د.ت: مج15، 58/1). ومن الشواهد التي تدلّ على وجود شعر الحنين لدى شعراء العصر الإسلامي أبيات للشاعر عبد الرحمان الداخل (ت. 172هـ) التي تعبّر عن شوقه لربوع الشام التي نشأ فيها، حيث قال:

أيها الراكب الميمّمُ أرضي أقرِ مني بعضَ السلام لبعضي

إن جسمي كما علمتَ بأرض وفؤادي ومالكيه بأرض

قُدِّرَ البَين بيننا فافترقنا فطوى البينُ عن جفونيَ غُمْضي

وقضى الله بالفراق علينا فعسى باجتماعنا سوف يقضي

(الذهبي، 1990: 241/11؛ ابن الأبار، 1985: 37). وقد ذكر الشاعر العباسي ابن الرومي (ت. 283هـ) أيضا العلّة التي يحنّ من أجلها النّاس إلى أوطانهم، وجمع ما فرقه الشعر من ذلك في أبيات يقول فيها:

ولي وطنٌ آليتُ ألا أبيعَهُ وألا أرى غيري له الدهرَ مالكا

عهدتُ به شرخَ الشبابِ ونعمةً كنعمةِ قومٍ أصبحُوا في ظلالِكا

فقد ألفته النفسُ حتى كأنهُ لها جسدٌ إن بان غودرَ هالكا

(ابن الرومي، 2003: 1825/5). يصور الشاعر في هذه الأبيات محبة الوطن، ويفصح عن العلّة فيها والسبب، وهي محبّة عامّة تشترك فيها كلّ الشعوب والأمم. عموما إنّ الشعر الجاهلي وما تلاه قد حفل بهذا اللّون من الشعر، ولا نريد أن نسهب كثيرا في الحديث فيه كي لا نبتعد عن صميم موضوعنا؛ إذ إنّ اهتمامنا سينصب على الحنين عند شعراء إفريقيا الغربية.

1.2. أسباب ذيوع شعر الحنين

OPEN ACCESS creative commons COPE

هنالك العديد من الأسباب التي أدّت إلى ذيوع شعر الحنين في الأدب العرب الإفريقي، وساعدت على انتشاره في ربوع منطقة إفريقيا الغربية، عدّ منها الرحلة، والاعتقال، والتهجير. وإليكم تفاصيل ذلك:

1.2.1. الرحلة

احتلّت الرحلة مكانة مرموقة في الشعر على مرّ العصور، فهي قديمة تناولها الشعراء بالوصف. فكانت ضمن الأسباب المساعدة على ذيوع شعر الحنين لدى الأفارقة. وقد ظهر جليّا حنين شعراء منطقة إفريقيا الغربية إلى أوطانهم من خلال الأشعار التي نظموها، والتي تعبر عن مدى تعلّقهم بأوطانهم وحبّهم لها. فمن شعراء المنطقة الذين ضربوا أروع الأمثال في حبّ الوطن والتعلّق به الشاعر محمد فودي الغيني (ت. 1400هـ) في قصيدته "أحنّ إلى الأوطان" حيث يقول:

أحنُّ إلى الأوطان ذاتِ المعاهدِ — منازلِ آباءٍ كرام الموالدِ

تذكرتُ آياتٍ بها ومعارفًا — فأرّقني تذكارها في المواقد

فَكَمْلٌ فجنكوكو فبركُ كرٍ إلى — بحيرة تومن مجمع للمدامد

فَكَنْبا فينبٌ ثم نات فكنتما — غزار المياه طيّبات الموارد

فمن يعبرِ النّهرَ الذي يعرفونه — بـ «كملٍ» فقد واتاه جلّ المقاصد

فسيمو فبند ثم كليا فصالها — جبالٌ عوالٍ متعباتُ المصاعد

وصاعد «بندبد» بشراه خافق — وكليا كلاه الله من كلّ كائد

ومن سام «سيمو» بالصّعود فقد سَمَا — سُمُوًا على الأعداء من كلّ حاسد

وفي سفح هذي الشامخاتِ مدينةٌ — أنيقةُ سَمْتٍ مسترادِ الجيائد

مزارعها مغمورةٌ بعبيدها — وأسواقُها محفوفةٌ بالعوائد

هي القرية العظمى بناها إمامنا — وعمدتنا الخِرّيتُ جمُّ الفوائد

هو «السّالم» المشهور كالشّمس في — الورى كثيرُ المزايا والعلا والمحامد

(السالمي، 1992: 112) نلاحظ في الأبيات السابقات كيف تأجج نزعة الحنين إلى الوطن ومسقط رأسه في نفس الشاعر في غربه وبعده عنه، مما يجعله يستحضر الذكريات، وما يتمتع به وطنه من طبيعة خلابة بما فيه من القرى والجبال المزارع والأسواق وغيرها. ومثاله قول الشاعر آدم عبد الله الألوري (ت.1992م) من نيجيريا:

أيا ذاهبا أرض نيجيريا أبلغن — سلامي إلى أصحابها متراضيا

وقل لهو إني أعو إليهم — إذا عسعس الليل ترى الصبح آتيا

ويم تركت البيت يوم مكدر — ولكن قلبي للعلا كان ناويا

ولم ليلة قد بتها نابغية — أسامر أفلاك السماة الضواريا

وصلنا إلى الخرطوم بعد مشقة — نحاول إذنا عند من كان ناهيا

مكثنا بها شهرا ولم نجد المنى — وقمنا إلى الشلال نطوي الفيافيا

هناك منعنا من دخول المدنية — على حالة من يراها كما هيا

ففاضت دموع العين مني غزيرة — لدى رجل ما كان يرحم باكيا

(أغاكا، 2003: 29).

1.2.2. الاعتقال والإبعاد

الظروف السياسية التي ترتّب عليها الاعتقال تارة والتى دعت إلى إبعاد بعض الأشخاص كانت إحدى الأسباب التي ساعدت على ذيوع شعر الحنين لدى الشعراء في إفريقيا. فالذين سجنوا من الشعراء لمواقفهم السياسية غدوا يقرضون الشعر للتعبير عن حنينهم وشوقهم. من بينهم الشاعر حمّاها بن محمود (ت. 1997م) من مدينة تمبكتو التي أقام بعاصمة مالي باماكو مفروضا عليه، فيقول في حنينه إلى تنبكتو:

لتينبكتُ شوق دائم وأنين — وتذراف دمع هاطل وحنين

أبيت وقلبي للهموم معسكر	وأصبح صبا والدموع هتون
ولو لم يشقني البين يوما لشاقني	حمام تغني في الغصون حزين
إذا ما عرضت الصبر للقلب شاقه	هموم له ما تنقضي وشجون
كأني فؤادي يوم أصبحت شاسعا	هديل حمام باليدين رهين
تضيق علي الأرض حتى كأنني	من العي حيران جفاه معين
أرى كل ذي غلف يضاحك غلفه	وليس معي إلاّ الهموم خدين
ومما شجاني والخطوب كثيرة	وليس على الدهر الخؤون ضمين
تداعي حمامات على غصن بانة	فيهتاج داء في الفؤاد دفين
داعين فاستعبرت بالدمع والهوى	تباريح أطوار حوى وجنون

(القشاط، 1994: 224؛ القشاط، 1996: 25–26). فالقصيدة كما نلاحظ حزينة جدا تدل على شوق لافحٍ وقلبٍ مفعم بالأحزانِ والأشواقِ، وغربة موحشة يعانيها الشاعر، وحبّ طافحٍ إلى وطنه وملاعب صباه. ومن الشعراء الذين ذاقوا مرارة انقلاب الحكَّام عليهم لأسباب غير سياسية، الشاعر المرتضى بن محمد التمبكتي (ت.1991م) فقد كان ممن قاسوا الظلم، والقهر، والاضطهاد من حكم موبيو كيت (الرئيس المالي بعد الاستقلال. ولمّا أطاح به نظّم هذا الشعر، وجعل يحنّ إلى قومه، وأرضه، ويدعو على الحاكم بالموت والهلاك:

ألم تجز جورك مودبّ كيتْ	بضرب وسجن وكيتَ وكيتْ
بلى والعزيز على أننا	بفقدك في فرحٍ لو دريتْ
سُقيتَ بكأس المنايا كما	به كم كريم سقيتْ
ولا تلقَ عفواً ولا رحمة	من الله جلّ وناراً صليتْ

(القشاط، 1994: 223).

1.2.3. التهجير عن أرض الوطن

تعرض الكثير من الشعراء للسجن والنفي والابعاد، أو الهجرة عن أرض الوطن ؛ نتيجة للفتن والنكبات الداخلية، كل هذه المآسي دفعت ببعض الشعراء إلى مغادرة أوطانهم مرغمين دون رغبة منهم، والهجرة عنها، وقلوبهم يعتصرها العذاب والألم لما حلّ بهم وبمُدنِهم. فقد خلف هؤلاء الشعراء وراءهم أوطانهم التي يكنون لها أسمى معاني الحب والوفاء، وليس أدّل على ذلك من أشعارهم التي نظموها في ديار الغربة، والتي تفيض حنينًا إلى أوطانهم، والتي عبّروا من خلالها عن صعوبة الحياة في ديار الغربة، وعدم قدرتهم على التكيّف في هذه البلاد التي ذهبوا إليها، كما عبّروا عن أُمنياتهم بالعودة إلى أرض الوطن. فمن شعراء المنطقة الذين بَعُدت عليهم الشقّة، وهاجروا من أوطانهم ،مضطرين رغما عنهم، الشاعر محمد علي بن الخليفة من آل النجيب (ت. 1990م) الذي هاجر من صحراء مالي إلى المدينة المنورة هروبا من الظلم الذي عانوه في السبعينات، وسجّل ذلك في قصيدة يقول فيه:

فلما رأيت الشر ليس بزائل	وقد قطعت كل العرى والوصائل
وقد صرحوا بالكفر والشر والأذى	وقد طرح القرآن طرح المزابل
وقد أسندوا أمرا إلى غير أهله	هربت إلى الرب الكريم المواصل
هربت إليه ثقة وتواكلا	وأمسكت من الطافة بالوسائل
وخليت عن أرضي وأهلي وعترتي	وسالت دموعي مثل مزنِ هواطل

(القشاط، 1994: 224) من خلال دراستنا للأسباب السابقة المتمثلة في الرحلة، والاعتقال، والإبعاد، والتهجير من أرض الوطن، ومن خلال دراستنا للشعراء والأشعار، يمكن القول بأن الرحلة كانت سببًا رئيسًا من الأسباب التي أدت إلى ذيوع شعر الحنين في أدب المنطقة، وقد عرضنا نماذج لها.

1.3. دواعي شعر الحنين

إنّ المناسبات والدواعي التي تهيج لواعج الهوى وتستثير مكامن الشوق والحنين لدى الشعراء كثيرة. منها: الظواهر الطبيعية وغير الطبيعة. فمن الأسباب الطبيعية التي هيّجت أشواق الشعراء الريح، والبرق، وصوت الحمامة على الغصن، والغمامة

حين تسكب الأمطار وغيرها، ومن الأسباب غير الطبيعية أيضا الفراق، والطرد وغيرهما. وقد تنوعت هذه المناسبات وتعددت في قصائد الشعراء الأفارقة، ومن أبرزها ما يلي:

1.3.1. الأطلال وآثار ديار ومنازل الحبيب

الوقوف على الأطلال أحد أهم مثيرات الحنين التي ذكرها الشعراء على مرّ العصور الأدبية؛ لأن وقفة الشاعر أمام آثار الديّار ومنازل الأحبّة تبعث في نفسه ذكريات من كان يسكنها. فمن شعراء المنطقة الذين لجؤوا للتعبير عن حنينهم بمخاطبة رفقاء رحلتهم، والذين يشهدون معهم موقفهم أمام الأطلال الشاعر المحمود بن محمد الصالح (ت.1976م) في قصيدته "عقد الهوى" حين قال:

ظَبْيٌ على البعد بالذكرى أشاهدُهُ ... قِفْ بي على ربعه هذي معاهدُهُ

وحيِّه سائلاً عن حيّه فمتى ... ناجاك نجّاك من ليلٍ تُكابده

واسألْه عن أحورٍ للعين كيف ثنى ... لِيتًا وتأمرني فيها مقاعده

أمْ كيف ضنَّ بلمّات الخيال على ... من جاد بالرّوح لـمّا عاد عائده

يا ظبيُ رفقًا بصبٍّ أنت حاكمُهُ ... وخصمُهُ ولأنت اليومَ شاهده

بل ما بدا لك فافعلْ إنني رجلٌ ... راضٍ بعقد هوًى المحبوب عاقده

(الشفيع، مخطوط: 45).

1.3.2. ريح الصبا والنسيم العليل

هبوب الريح عامل طبيعي، مدعاة للشوق والحنين، تترك في نفس الشاعر الذكرى. فالشعراء يحبون هبوب هذا النسيم الرقيق وينتعشون معه ويتغنون به. وقد سموه عليلاً لشدة رقته؛ ذلك أنه يأتي محمّلا بالندى الذي يلطّف جوّ الصحراء الجاف، ويخفّف قسوة المناخ، ويداعب الوجوه، ويلاعب الشعور، وينشّط الأعضاء. فمن شعراء المنطقة الذين تحرك هبوب الريح مشاعرهم الشاعر ابن أحمد يوراه (ت.1925م)حين قال:

يا صاح هذا غراب البين قد صاحا ... وكاد يفضح بالتوديع إفصاحا

واصبر الناس من رامت أحبته ... فينا فما وال من شوق وما واحا

وقلت للريح إذ هبت على مهلٍ ... تهدي نسيما بري الوردِ فوّاحا

يا ريح أحييت أرواحا ... فربما أحيت الأرواح أرواحا

(القشاط، 1996: 79–80).

1.3.3. البرق

البرق أحد مظاهر الطبيعة التي تثير الحنين والشوق. فهو عندما يلمع تذكر هذه الصورة الشاعر محبوبه فيظل ساهراً مؤرقاً. وقد سئلت أعرابية: ما بال البرق البعيد أشوق من القريب؟ فأجابت: القريب أرجأ والبعيد أيأس. إذن فالبرق مدعاة للشوق على تباين بين حالتي الرجاء أن يلقى الشاعر محبوبه، واليأس من لقائه لبعد ما بينهما من مسافات. فمن شعراء المنطقة الذين تحرك مشاعرهم لمح البرق الشاعر محمد بن الشيخ سيديا (ت.1869م)حين يقول متشوقا إلى وطنه:

هاج التذكر للأوطان في الجنين ... برق تألق من نحو الميامين

برق يحاكى اغتداء الطير آونة ... ونبضة العرق في بعض الأحايين

فقلت إذ شمته وهنا أخاطبه ... دور الميامين أو دور الكناوين

سقيا لها أربعا شطت بساكنها ... عن نازح مستهام القلب محزون

أخي اغتراب رمى صرف الزمان به ... بحيث يجمع بين الضب النون

سكناه بين أناس جل عقدهم ... بيع الملاقيح أو بيع المضامين

إيمانهم كلها لغو ودأبهم ... غصب الأباعير من كل الأناسين

(القشاط، 1994: 220). ومن شعراء المنطقة الذين أثارت فيهم لمع البرق الذكريات والحنين إلى أوطانهم وأهلهم الشاعر ابن

أحمد يوراه (ت.1925م) الذي يقول في قصيدته هذه:

يا صاح هذا غراب البين قد صاحا وكاد يفضح بالتوديع إفصاحا
واصبر الناس من رامت أحبته فينا فما وال من شوق وما واحا
أقول للبرق بعد النوم إذ لاحا يحدو ركاما هزيم الودق سماحا
يا برق عاد خيام اللاء عن كثب يردن ماء لدى (السياح) سياحا
فيهن من تيمت قلبي بمبسمها فصار يعتقد الافساد اصلاحا

(القشاط، 1996: 79–80).

1.3.4. سجع الحمام وتغريد الطّيور

إنّ من المثيرات الطبيعية التي تحرّك أشجان الشاعر، وتجعله يتذكر، ويحنّ، ويشتاق إلى أهله، ومحبوبه، ووطنه، تغريد الطّيور، وهديل الحمائم. تلك الطّيور عرفت بإلفتها، وواعتها، وقربها للإنسان. فالشعراء يأنسون بهديلها، وتشاركهم حزنهم ووحدتهم، من ذلك قول الشاعر ابن أحمد يوراه (ت. 1925م) حين قال:

بكاء حمامات تغنين بالأمس يرد قلوب المرعوين إلى (الدكس)
بكين لأيام بكيت لمثلها فأصبحن من جنس وما هن من جنسي
يذكرنني عهدا قديما ومعهدا أحب إلى نفسي ليالة من نفسي

(القشاط، 1996: 81). يرى شاعرنا أنّ سجع الحمام هو الذي حرّك أشواقه، كأنه داعٍ يدعو إلى الشوق، ويربط بين وقوف الحمامات على غصون الأشجار وبين تعلّق قلبه بمحبوبته بحبائل الحبّ، التي تمتّد كلّما بَعُدت. فشبّه الحمامات التي تنوح للفراق بنوحه وبكائه وهو بعيد نازح عن محبوبته. فهذا الصوت الفطريّ الصافي تتجاوب مع نفسية الشاعر. ونلاحظ الارتباط الوثيق بين نوح الحمائم والحنين في نفوس بعض الشعراء، مما جعلهم يديرون حوارات بينهم وبينها، كما هو الحال في قصيدة الشاعر الوزير جنيد بن محمد البخاري النيجيري (ت.1997م) حينما يقول:

ظعن الذين عهدت فى ذا النادى ماذا وقوفك فى الطلول تنادى
وعلام تبكى من بكاء حمامة فى أيكة تشدو على الترداد
والدمع يجرى فوق نهرك سائلا كالماء يجرى فى مسيل الواد
ذهبوا وغيّر رسم دارهم البلا ال مردي وطول تهجر وبعاد
حتى كأن ذراهم لم يغشها ذو حاجة من رائح أو غاد
صارت مراتع للوحوش بعيد أن كانت مقا صد حاضر أو باد
أقوت فلست ترى بها أحدا سوى ال حرباء لانذة على الأعواد
قامت تخاطبنى فعزّ كلامها فلكم سكوت معلن بمراد
وتدير عينيها تشير بذاك دو ر الدهر غير ما ترى فى الناد
وتلونت ففهمت منه تلون ال أحوال فى الدنيا فعزّ رقاد
لم لا أنادى فى الطلول وهذه ال أطيار فوق غصونهن شواد
ألوانها ما بين بيض ناصع أو أحمر أو مشرب بسواد
تشدو وترقص فى حلا أرياشها رقص القيان بحلة الأعياد
أسفى على طلل يمازحنى متى ناديت خالفنى على المعتاد
ناديته يأيها ذا الناد فأجابنى يأيها ذا الناد
لما سكت دنت إلي حمامة مغبرّة تبدوا كلو رماد

فسألتها أين الذين عهدتهم؟ قالت لقد بلغوا على الميعاد

قلت اخبريني من تخلف بعد هم؟ قالت تخلف دولة الأكراد

مالى أرى دول الكرام وضيعة؟ قالت علتها دولة الأوغاد

فسألت ما خلق الذين تخلفوا؟ قالت ذوو فحش ذوو إحقاد

لاتكذبيني يا حمامة أكشفي! قالت ذوو حسد ذوو إفساد

هلاّ قفوت إليهم ءاثارهم؟ قالت قعدت لقلة الأزواد

(الوزير، د.ت: 9–12).

1.3.5 طيف الحبيب

ومن مُثيرات الحنين لدى الشعراء أيضا زيارة طيف المحبوب ليلا. وهي من المعاني المطروقة في شعر المنطقة، والشواهد على ذلك تكاد لا تحصى. ونجد ملامحه لدى الشاعر علي الكماسي الغاني (ت.1996م) في قصيدته "ذكرى الأحبّة" متحدثا فيها عن طيف محبوبته، الذي كان يتخيلّه أمامه ويبثُّه أشواقُه:

ذكرُ أحبابنا يهيجُ جناني ودموعُ العينين لي تجريانِ

كلما زار طيفُهم في منامي فترى لي عينان نضَّاختان

راق معناهمُ فؤادي ورقَّت فجرى شعرُهم رقيقَ المعاني

هم قرين الجمال أصبح دمعي مرسِلاً من جُمانه الفتانِ

(ميغيري، 1981: 125). ونجد ذكر طيف المحبوب لدى الشاعر محمد البخاري النيجيري (ت.1849م) في قصيدة غزلية يقول فيها:

هاج لعيني دمع مع دما طيف أتى من رشإ أدما

غر خذول ترتعي مفردا مقلدا في شفتيه اللما

يا أيها الطيف الذي زارني لو كنت حقا لشفيت الظما

(طن ظوهو، 2002: 111). وذكر الشاعر الصحراوي محمد بن الطّلبة (ت. 1856م) طيف الحبيب في هذه الأبيات:

تأوَّبَه طيفُ الخيال بمَريما فباتَ مُعَنىً مستجَنّا مُتيَّما

تأوَّبَه بعد الهجوعِ فهاضَه فأبدى من التهيامِ ما كان جمجما

لطاف بها حتى إذا النفس أجهشت وأبدت بنانا لي خضيبا ومعصما

(القشاط، 1994: 215). إلى جانب ما ذكرناه في الصحفات السابقة، هنالك مواقفٌ وأحداثٌ تمرّ بالشعراء، فتحيي في نفوسهم الأشواق، من بينها الفراق والطرد وغيرهما، وقد ورد بعض من هذه المواقف في قصائد شعراء إفريقيا الغربية، منها ما يلي:

1.3.6 الفراق

الفراق هو السبب المباشر للتشوق؛ لأنه سبب ابتعاد المحبوب عن محبه، ولذلك أكثر شعراء المنطقة من وصف يوم الفراق؛ لما فيه من شدّة على نفس المحب. ويلازم الفراق دائما البكاء، وسيلان الدموع. فمن شعراء المنطقة الذين بكوا في موقف الفِراق وأجادوا في وصف البين الشاعر المالي الصحراوي حمّاها بن محمود (ت. 1997م) الذي يقول:

أقول لصاحبي والدمع منى على الخدين يجري في المغاني

أكفكفه وتبعثه شجونٌ أريت في الحيازم مذ زمانِ

أوافيه بما منتك ليلى أم الأخلاف من شيم الغواني

الآ يا ليت شعري هل لماني من الأمر الخلاج أخو بيان

أحالت بعدنا عما عهدنا لأنذ عز التواصل والتداني

وربة ليلة قد بتُّ فيها	أسير مع الهوى طلقَ العنانِ
لعمرك إنني لما افترقنا	غداةَ البين مكرون الجنان
فقال تجلدن فليس يجديي	من الشوق البكاء ولا الأغاني
فقلت دع العتاب فغير عدل	عتاب متيّم غلق الرهان
ولا عجب إذا انهل دمعي	لخودٍ ما لها في الحسن ثانِ

(القشاط، 1996: 20–21) لقد بدأ الشاعر بوصف مشاعره نحوها، ومدى الشوق الذي جعله يقضي ليله يبكي حنيناً لمن أورثته الضنى، وأضرمت في قلبه ناراً ببعدها عنه. والأبيات تحمل طابع الحزن والأسى، بدلالة ذكره للدمع. وممن تحدث عن الفِراق، ووصف أثره في نفس المحبّ الشاعر عمر بن محمد صالح – ما زال حيّا–الذي أنشد بقصيدة شوقية نزفتها قريحته الشعرية ونسجتها روحه الحالمة في وداعه لأخيه الشقيق محمد الحبيب حين يعود إلى مقرّ عمله بفرنسا:

بكيت وما لحبي واشتياقي	ولكن لحزني بالفراق
فراق أخٍ شقيق ليس يعزى	لأخلاق المراء ولا النفاق
يغادرني وفي الأخشاء وجد	وها أنا ذا ألاقي ما ألاقي

(الصالح، 2015: 658). والأبيات واضحة الألفاظ، جلية المعاني، يبدو فيها وصف هذا الشاعر حاله بعد الفِراق، مصوّرا معاناته، وما يجده في نفسه من آلام وأحزان. ومن صُور الفِراق أيضا موت الصّديق والحبيب، مما يدفع الشاعر ينوح لمفارقه. ومثاله لدى الشاعر عبد الوهاب سَلْ المالي (ت. 1995م)حينما رثا زميله الأستاذ الشيخ أبوبكر عمر باور (ت.1985م) قائلا:

فقد عجزتُ عن الصبر الجميل فلا	لومٌ عليّ به قد شطَّ مسراه
كان الرفيق قرين الخير مرتديا	لباس تقواه يهواني وأهواه
وما تضجّر يوما لا ولا سئما	منّي عليّ وما كبرٌ بيسماه
بقيتُ وحدي وأنسي انفض مجلسُه	وأظلم الكونُ لي حزنا لبلواه
يا حزن قلبي، لقد مرّ الفراق كما	يعقوب قوّس ظهرا منه إبناه

(الصالح، 2015: 319).

1.3.7. الطرد

إنّ من مثيرات الحنين والشوق طرد الإنسان وابتعاده عن موطنه. فمن شعراء المنطقة الذين وُجِدوا في مثل هذا الوقف الشاعر أبو فمين المجلسي (ت. 1170هـ) من شعراء صحراء مالي، الذي نزح طريدا من وطنه، وشاهد في غربته (قبرة) تشدوا فتذكر وطنه وظنها تحنّ كحنينه؛ لأنه شاهدها هناك:

أصخ لقبّرة نأت عن الوطن	كما نأيت ويبكي ساكن الوكن
مغبرة الطوق والمنقار جؤجوؤها	تشويه حمرة مصفرة البدن
لما شد خلتُ أني كنت أعهدها	بذي(ذوي مائة) تشدو على فنن

(القشاط، 1994: 221). قوله (ذو مائة) موطن الشاعر الذي تذكر أن هذه القبرة المغبرة الجؤجو تشوبها حمرة مصفرة البدن كلون الرمال عندما شدت كأنها كانت تشدو بنفس النغم في موطنه.

هذه كانت أهم الدواعي الأسياسية التي أبرز محرّك لقرائح شعراء المنطقة، وأهم بواعث الشوق والحنين الكامن في دواخل النفوس. استعرضنا في الصفحات السابقة، ما درج على ذكره شعراء منطقة إفريقيا الغربية في وصف حنينهم إلى أحبّابهم، حيث استخدموا ألفاظاً ومعاني رقيقة، تصف عُمقَ أشواقهم. فكانت الحمامة من أكثر ما ذكر، إذ شاركتهم شكواهم من الفِراق، وآزرتها الغمائم والبروق فبكت –حسب خيالهم- ووصفوا الريح، والأطلال المقفرة التي تذكرهم وتشجيهم. وتأملنا وصفهم ليوم الفراق، وما به من لوعة، ورأينا حنينهم حين طردهم من أوطانهم. كما لاحظنا أنّ زيارة الطيف ليلاً تشعل نار أشواقهم، فيعبرون عنها بمعانٍ بديعية، استخدموا فيها أصنافاً من أساليب البيان. فجاءت قصائدهم دقيقة الوصف، واضحة المعاني، جيدة السبك، تميل إلى الرقة.

2. موضوعات شعر الحنين ومعانيها

OPEN ACCESS creative commons COPE

الحنين هو مراجعة الماضي بكل حبٍّ ورغبةٍ كبيرين. فشعراء المنطقة عموما يحبون بيئتهم؛ لدرجة لا توصف، ويتشوَّقون إليها. ويعتبرون أنفسهم خارجها غرباء، كالطيور المهاجرة البعيدة عن أوكارها. لهذا نجد القصائد في الحنين والتشوق للأوكار، وتحسّ فيها الصدق والإحساس بالغربة المضنية. وسنسوق في هذا المبحث معاني شعر الحنين، وموضوعاته في أدب المنطقة. أمّا موضوعاته فقد اشتملت على كل من الحنين إلى الإنسان، والمكان، والزمان. وأما المعاني فقد كان أهمها شوق الشاعر الإفريقي إلى وطنه، وتصويره مشاهد الوَداع التي فطرت قلبه، وأثر هذه الغربة في نفس المغترب، ووصف ما يعانيه المغترب في أثناء اغترابه، وتذكره أيامه السعيدة في الوطن ، وملاعب الصّبا والشّباب، كذلك من المعاني ذكر الشاعر أسباب الإغتراب وغيرها.

2.1. موضوعات شعر الحنين

للحنين في الشعر العربي الإفريقي موضوعات عديدة، نودُّ أن نوردَ أهمّها حسب التقسيم الثلاثي الآتي: الحنين إلى الإنسان، والحنين إلى لزّمان والحنين إلى المكان. وتجدر الإشارة بإنّ هذا التقسيم جاء لأغراض الدّراسة فقط. وتفاصيلها كما يلي:

2.1.1. الحنين إلى الإنسان

إنّ الإنسان بطبيعته ميّالٌ إلى ما يألفه، فإذا غاب عنه لمدّة من الزّمنِ افتقده، وشعر بدافع قوي (الحنين والاشتياق) يدفعه إليه. وهذا القول يصدق على الكثير من شعراء المنطقة. ففي نفثاتهم الشعرية نجدهم شديدي التّحنان والاشتياق إلى الأشخاص الذين تركوهم في وطنهم أو فقدوهم، وإلى أصدقاء الزّمن الجميل، وإلى العلاقات الإجتماعية القوية، التي كان يتمتّع بها قبل مغادرته، ويذوبون شوقا لمرآها. والحنين عند هؤلاء الشعراء، له عدة أنواع، نود هنا أن نعرض بعضا من قصائد المنطقة التي جاد فيها الشعراء قرائحهم للتعبير عن مشاعر شوقهم، وحنينهم إلى أحبّتهم، بدءً برسول الله عليه السّلام على النحو التالي:

2.1.1.1. الحنين إلى رسول الله

رسول الله عليه السلام أول من يَشتاق ويَحنُّ إليه القلوب المسلمة. وكلّ مُحبَ صادقٍ يشتاق إليه، ويحنُّ قلبه إلى رؤيته. وقد أبدع شعراء المنطقة بين مدحه عليه السلام وبين الحنين إليه، بأساليب سلسة، أعطى أشعارهم جمالا ورونقا. فمن أشهر الشعراء الذين حملت قصائدهم مشاعر الشّوق والحنين إلى رسول الله الشاعر المحمود بن حمّاد (ت. 1987م) من صحراء مالي في قصيدته "المصطفى خير من أشكى الشكاة":

هو الفراق بحدِّ سيفِهِ جَزَما عِرْقَ الكرى فجرى دمعُ العيون دَما

وقد برانيَ حتى لا يَرى أحدٌ جسمي، ولو رام، بَرْيَ الكاتبِ القلما

وحقِّ حبِّ نأى وما له سكنٌ غيرُ الحشا وكفى بحقِّه قسما

لو أنَّ بي أصْغَرَ الذَّرِّ استظلَّ لما أظلَلْتُهُ رقةً فكيف ما عظما

أبيتُ تلطمني أيدي الغرامِ ومِن ما نابني لا أزالُ أشتكي الألما

(البرتلي، 1981: 208). ويقول الشاعر الحاج محمد انياس السنغالي (ت.1959م) في مطلع قصيدة له في مدح النّبي:

قد هاج شوقي إلى دور الأحباء برق تألق في ديجور ظلماء

آه لقلب يعنيه الغرام فما يزيده العذل فيه غير إغراء

قلب تياسره الشوق المبرّح لا من حبّ ميّ ولا هند وأسماء

بل حبّ من حبّه بالروح ممتزج قبل التكوّن مزج الراح بالماء

(انياس، 1996: 6).

2.1.1.2. الحنين إلى العلماء والأولياء

وممن عبّر شعراء المنطقة عن شوقهم لهم العلماءُ، والأولياءُ، ومشايخ الطرق الصوفية، الذين كان لهم دورٌ بارزٌ، ونفوذٌ كبير في المجتمعات الإفريقية المسلمة. ونمثل لذلك بقول الشاعر الحاج محمد الأمين بن الزبير السنغالي (ت. 1987م) حين قال عن الحاج فضل أمبك حضرة الشيخ الخليفة في الطريقة الموريدية:

ألا تحن إلى الركوب لترحل وقتا تهيئ للسلام على الولي

شيخ المشايخ (فضل أمبك) ومن له تم العطايا من أبيه الأفضل

أعني الخديم حبيب طه أحمد — من حاز فضلا مِ الإله الأجلل

قد زاره الشعراء قبلك فانثنوا — منه بآلاف النقود ومِ الحلي

(الصالح، 2015: 373). وممن أظهر شوقه وحنينه إلى العلماء الشاعر جيرنو حامد آنْ (ت.1956) في أبيات له يرثي فيها الشيخ أحمد بمبه السنغالي ويحنّ له:

جرى الدمع من عيني وحنّ كئيبُ — وفي القلب مني لوعة ولهيب

لفقد خديم المصطفى خير قائد — يقود إلى سبل الهدى وينيب

(الصالح، 2015: 269).

2.1.1.3. الحنين إلى المحبوب

الحنين إلى المحبوب أحد أهمّ الموضوعات التي اجتذبت شعراء المنطقة؛ لأن الحنين يتولد من الحب، والحبّ يورث شوقاً. فقد عبّر شعراء المنطقة عنه بقصائد جيدة السبك، صادقة في كثير من الأحيان، ولعل مرجع ذلك لتولدها من عاطفة صادقة. فمن الشعراء الذين وصفوا هذه الظاهرة الشاعر محمد بن إبراهيم الأنصاري (ت.1985م) من شعراء صحراء مالي الذي يقول في الشوق إلى حبيبته:

ألا طرقت خديجة مستهاما — يردد في حيازمه غراما

فظل وجفنُه يرفضُّ دمعا — على خديه ينسجم انسجاما

تكلفه الهموم إذا رأته — يطوف بدارها أن لا يناما

هموم كلما كلفتُ نفسي — تجمل شأنها وردت ذماما

سلام الله يا تمدي عليكم — ولو أناك بعدكم الذماما

سلام كلما مرت حمام — أحمه لها عاما فعاما

أقول لها حمام الجوّ مهلا — رويدك بلغني عني كلاما

لأنّ الشوق بعد البين شيء — مهين من يلازمه لزاما

(القشاط، 1996: 23–24) وللشاعر الغامبي امباي كيبا كاه قصيدة بعنوان "المغترب" امتازت ببكاء مرير:

فما لعينك منها الماء ينسكب — أم ما لقلبك هل زاغت به الكرب

وما لجسمك أم داهتك داهتة — فقال: ذكرى وكم ذكرى لها سبب

هذي الخدود على خدّي شققها — وبلّ سحابته ترجى وترتقب

العين شاهرة والشهب طالعة — فما المؤرق الذكر أم الشهب

فهل أذوق الكرى والنفس متعبة — والجسم والقلب منحول ومضطرب

الدار نائبة والحزن يعصرني — في كل ناحية صوت الأسى اللحب

تمضي الليالي وتبقي النفس صائمة — عن مبتغاها كأن الموت مقترب

(كبا، 2011: 574/2)

2.1.1.4. الحنين إلى الأصداقاء

إنّ الأهل ليس فقط سند الإنسان في دنياه، بل له أحبّة، وأصدقاء أوفياء، يقومون بهذا الدور على أكمل وجهه. فهذا الإنسان قد يشتاق إلى أحبته، وأصدقائه، عند البُعد والفِراق، ويحنّ إليهم أرقّ الحنين. كذا الحال لدى شعراء المنطقة. فقد كان يأسرهم الشوق والحنين إلى أصدقائهم. فحرّك ذلك قرائحهم الشعرية، واستفزها للتعبير عمّا يشعرون بها عند افتراقهم. ومن ذلك قول الشاعر والأديب ابن عمر بَا السنغالي في حقّ صديقه وزميله في الدراسة، وخاله في النسب، الأستاذ الأديب الشاعر سراج بن معزوز:

خالي أحنّ إليه في الساعات — بل في الدقائق بل مع اللحظات

OPEN ACCESS creative commons COPE

شخص إذا ما دار فكري فيه لم أملك لنفسي الصبر في الأزمات

وفراق خالي أزمة ومصيبة حلت عليّ ولم تطقها ذاتي

تتضخم الأفكار في صدر الفنى يتفجر الينبوع للآهات

فيلين حينا ثم يصرخ تارة ويردد الويلات فالويلات

(الصالح، 2015: 644). ومن المعروف أن في الحنين إلى الوطن يكمن الشوق إلى الأحباب، الذين تنمحي أسماؤهم في وصف الوطن وصفا حسيا، غير أن بعضهم ينُصُّون على أسماء الأحباب الذين يدور حولهم الحنين، وإن كان ذلك نادرا. فنجد الغامبي محمد كرنلا (ت. 1996م) يذكر أصحابه في هذه الفائية التي استوفت أهمّ عناصر الحنين كالشوق إلى الأحباب بحزن البعد والبكاء:

قلبي إلى الإخوان الأحباب منعطفا متأسفا بالنوى والدمع قد وكفا

وصرت في ساعتي تالله في ولع إلى لقاهم وفكري نحوهم انصرفا

(جابتي، مخطوط: 1010). ومن الشعراء الذين نظموا الشعر للتعبير عن مشاعرهم تجاه الأحباب الذين اشتقاقوا إليهم الشاعر محمد السنوسي غوث فاس بن إبراهيم جابي (ت. 1956م) من غامبيا في قصيدته "أحباء قلبي":

أحباءَ قلبي كم جفوتم مصافيا يقاسي شجى أشواقكم متواليا

أَهلا وصلتم أم أجبتم نداءهُ؟ فكم مرةٍ ناداكمُ متماديا

عدلتمْ وجرتم كلُّه عندهُ سوا فليس يرى عنكم بديلاً مساويا

عسى زلفةٌ منكم ولو في سويعةٍ يزيلُ بها ذاك الشَّجَى المتناهيا

فأنتم شفا قلبي وما بيَ من ضنًى وأنتم أطبائي فكونوا دوائيا

(كبا، مقابلة شخصية، 22 فبراير 2004).

2.1.2. الحنين إلى المكان والزمان

إنّ الحنين الشوق لا يكون للإنسان فحسب، بل قد يكون أيضا لمكان من الأمكنة، عاش فيها الإنسان وقت صباه، أو قام بزيارتها في الماضي. فتعلق قلبه بها، والتي تحمل أيضا الكثير من الذكريات. ويكون الحنين أيضا لزمان من الأزمنة المختلفة، كزمن الطفولة والشباب، وزمن رومانسي عاشه الشخص، ولا يكاد ينساه،وهكذا. ونحاول أن نستعرض بعضا من قصائد شعر المنطقة، التي ظهرت فيها ملامح الحنين إلى المكان والزمان على النحو التالي:

2.1.2.1. الحنين إلى المكان

الحنين إلى المكان عبارة عن الحنين إلى الأوطان وأرض المحبوب وإلى مكان كان الشاعر يجتمع فيه بأهل أنسه وأصحابه كالأديرة، وإلى الأماكن الغالية والمقدسة لديه. وقد ورد في بعض من قصائد شعراء المنطقة الحنين إلى المكان على النحو التالي:

2.1.2.1.1. الحنين للوطن

الوطن جزء لا يتجزأ من وجدان المواطن، فلذا لن يقدر أحدٌ على التنكر لوطنه، وطرد حبّه له من جنابه، وكيانه حين الغربة. فالحنين إلى الأوطان كان من أحدِ الموضوعات التي خيّمت في ساحة الشعر العربي الإفريقي وزخر بها. فقد طرقه كثيرٌ من شعراء المنطقة بأسلوب رفيع. ومن أوائل شعراء المنطقة الذين قرضوا في شعر الحنين للوطن العلامة القاضي والفقيه أحمد بابا التمبكتي (ت. 1627م) الذي عبّر عن شوقه إلى تنبكتو في أثناء وجوده بالمغرب، فيقول:

أيا قاصداً كاغو فعرج نحو بلدتي وزمز لهم باسمي وبلغ أحبّتي

سلاماً عطيراً من غريب وشائق إلى وطن الأحباب رهطي وجيرتي

(محمد الصغير، 1888: 98؛ بابا، 2000: 52 ؛ زبادية، 1974: 158؛ أبوبكر، 2020: 647). ومن نماذج شعر الحنين نحو ديار الآباء من القرى ما نجده لدى الشاعر الغامبي الشيخ محمد الأمين كيمورن (ت. 1975م)، الذي زار أطلال قرية "جارومي " التي أسسها آباؤه قبل هجرتهم عنها، فقال:

تلوح لي المنازل بالعشي بجارم مثل ما وشم الهديّ

فيا عجبا جهلتُ محلّ قومي — لتغيير الحوادث كالحبيّ

سالت الدور: أين الأهل، قالت: — غذا كلّ إلى خير جليّ

ترحلّ بعضهم والبعض منهم — رماه الموتُ سهما عن قسيّ

فقلت لها كذلك حال دنيا — عجيب للبيب وللذكيّ

(كبا، 2011، 572/2). وقد يشتاق الشاعر إلى قرية شيخه، التي تحفظ ذكرياته الدراسية، وفي مثل هذه الحالة لا يكون الحنين إلى طول اللقاء بالقرية بل لتخفيف آلام الفراق، كما هو الحال عند الشاعر الشيخ دنب واكي المالي (ت. 1978م) لمّا كان يفارق قرية شيخه "مرجا "، التي قضى فيها قرابة ربع قرنٍ في الدراسة ، فيقول:

تغرّبت عن «مرجٍ» بجسمي وإنني — بروحيَ فيها والفؤادُ لحاضرُ

تغرّبت عنها غيرَ قالٍ وإنَّني — على أثر الحكم الإلهيّ سائر

تغرّبت عنها كي أفوزَ بحاجةٍ — وإنّي إليها بالرجوع مُبادر

تغرّبت عنها لا سواها أريدها — مَقيلاً ولكن لاضطراري أُسافر

فكيف وفيها أهل ودّي وبيعتي — ومن بهمُ أهلَ الزَّمان أفاخر

ففيها تقيٌّ عالمٌ متفَنّنٌ — صبورٌ ومن كل الرذائل طاهر

(ديارا، 2003: 87). ونجد الشاعر شعيب الكنكاوي– على قيد الحياة –أشهق بكاء لوطنه، رغم قرب إقامته منه في بنين، فصوّر لوعات قلبه ،وخفقانه بهيجان البحر أو الطير :

والقلب يقلق مثل بحر عاشقا — وطني العزيز عندما ذكرته

فكأنه طير يطير صبابة — ويسير بالقدمين حين لحظته

كم بات مكتئبا حنانا مدهشا — مثل الحمامة حيثما فقّصتُه

وعلا نداء من بعيد قائلا — لا تجزعن فالخير فيم كرهته

(كبا، 2011: 573/2). ومثالا آخر لشعراء المنطقة الذين قرضوا الشعر للتعبير عن مشاعر شوقهم وحنينهم إلى أرض الوطن الشاعر مصطفى آن (ت. 2005م) في جيميته التي تكاد تتميز حزنا وشوقا إلى وطنه، حين قال:

هواي في اليوم أن أخظي بإدلاجي — للأهل مبتعدا عن شاطئ العاج

فإنني صرت مشتاقا إلى وطني — رماني الشوق في ضيق وإحراج

كأنني كنت طفلا تاه مبتعدا — عن أهله ضمن فصل ليله داج

إني أجول ولا أرض سلوت بها — وسرت تيها كولاّج وخرّاج

أرضي بها الزهر حول الماء مبتسما — فالموج من مائها يعلو كأبراج

(كبا، 2011: 574/2).

2.1.2.1.2. الحنين إلى مكة والمدنية

زيارة الأراضي المقدسة هو الحلم الذي يراود كل مسلم بأن يحظى بها. ولقد كان الشعراء على مرّ العصور والأزمان يعبرون عما يشعرون به تجاه هذه الأراضي المباركة بين باكٍ شوقًا وتوقًا، وبين مشتاقٍ يتمنّى القدوم إليها. فالشعراء الأفارقة أيضا قد أبدعوا في الإفصاح عن شوقهم وحنينهم إلى هذه الأراضي، فجاءت قرائحهم لوصف ما يجدونه من اشتقاق. فهذا الشاعر الشيخ هارون الرشيد جلو (ت. 1983م) يقول في قصيدته "الشوقان":

يا ليتني مذ كان لي شوقان — قد كان لي جسما أو روحان

أو كان لي قلبان أو صبرنان — قد كان لي جسمان أو دمان

شوقان يزدحمان في قلبي وما — لي حيلة فتنازع الشوقان

OPEN ACCESS creative commons COPE

شوقان شقا مهجتي وأراهما يتزايدان وليس يتنقضان

شوق إلى حيث الركائب تنتهي للأجر أضياف على الرحمان

حيث الحطيم وحيث بيت الله حي ث الحجر حيث الفوز بالغفران

حتى إذا خرج المطايا تحتذي نحو المدينة بقعة الرضوان

أرضٍ أضيف للإله وضمّنت جسم النبي المصطفى العدنان

(الصالح، 2015: 567–568). ولا يخفى ما في هذه القطعة من أشواق إلى الأراض المباركة، عبّر عنها الشاعر بالعديد من الوسائل، منها؛ قوله: بيت الله، والحجر، وقول:ه المدينة بقعة الرضون، وقوله: شوقان شقا مهجتي، وقوله: أيضا يا ليني مذ كان لي شوقان. ومن الشعراء الذين أضناهم الشوق إلى المدينتين المقدستين الشاعر محمد السنوسي غوث (ت.1956م) الذي أبدع في قصيدته "أمّ المدينة"، والتي تعكس عمق حنينه لزيارة الأماكن المقدسة، فيقول:

إذا ما عطشت ورمت الرّوى وكنت حليف الطّوى والنّوى

فأمّ المدينة خير البلادِ ففيها رواءٌ لباغي الرّوى

كذاك الذي أمّها طاويًا فيلفي بها ما يقيه الطّوى

بلادٌ بها خير رسل الإلهِ وخير بريّاته قد ثوى

(كبا، مقابلة شخصية، 11 فبراير 2004). نلاحظ هنا مدى فصاحة الشاعر، وجزالة لغة شعره، وحسن سَبكه، وحسن تصرفه في صوغ المعاني والأساليب.

2.1.2.2. الحنين إلى الزمان

أمّا الحنين للزمان فقد يكون لأيام وصال المحبوب التي انقضت ومضت أو لأيام الطفولة البريئة أو لأيام الشباب التي هي من أكثر فترات العمر ثراء بالأحداث والمشاعر الفياضة وغيرها. وقد ظهر ملامح الحنين إلى الزمن لدى شعراء المنطقة على النحو التالي:

2.1.2.2.1. الحنين إلى أيام العيد

وربما تشتّد لوعة الشوق خلال مناسبات العيد، التي يقضيها الإنسان بعيدا عن وطنه؛ لذا لم يُخفِ الشاعر السنغالي محمد الأمين عاجْ السنغالي (ت.1994م) أحزانه، فحكي مأساته مع زملائه من الطلبة الأفارقة في قضاء أحد أعياد الأضحى بالمغرب، فتغافل عنهم جيرانهم في مشاركتهم في الفرح، وأكل اللحوم، فقاسوا مرارة الغربة واشتاقوا إلى أوطانهم في مثل هذه المناسبة:

من الصباح لوقت العصر ما شعبت بطون إخواننا في مثل ما اعتادوا

والله ذكرى ذا اليوم أضحية يلهو بها في بلادي اليوم أولاد

لولا المعلم أهدى من ذبيحته عضوا غدا عيدنا لمن هادوا

فإنه مدرك مأساة غربتنا وإنه في قرى الأعراب، سداد

(كبا، 2011: 574/2).

2.1.2.2.2. الحنين إلى أيام الشباب

نال البكاء على أيّام الشباب والحنين إليه نصيبا وافرا من شعر المنطقة؛ إذ وجد شعراء في مرحلة الشيخوخة تمتلئ أشعارهم بذكر الشباب والحسرة عليه. ومن ذلك قول الشاعر فؤاد محمد أحمد (ت.1937م) في وصف المشيب في قصيدته "الشعرة البيضاء":

ودَّعتُ بالدمع أحلامي وآمالي لم يُغْنِ عنّيَ لا جاهي ولا مالي

ولّى الشبابُ فلم أهنأْ بلذته وأقبل الشيبُ مصحوبًا بأهوال

دبَّ المشيبُ برأسي فاهتززتُ له من روعةٍ، وذكرتُ الموت في الحال

فيا خيوطَ الأسى قد زدتِني حَزَنًا فأجملي إنني أصبحت ذا بال

وقفتِ بين فصول العيش فاصلةً — كأنك الحدُّ بين المرّ والحالي

بِيضٌ ظواهرُها، سودٌ بواطنُها — تفترُّ مشرقةً عن غاربٍ صال

رأيتها في سواد الشعر ظاهرةً — فذكَّرتْني نفورَ العاشق السالي

(فؤاد، 1939: 98).ومن شعراء المنطقة الذين عبّروا عن حنينهم للشّباب الشاعر علي باه السنغالي – على قيد الحياة–حين قال:

لي أربعون من الميلاد سنينا — ولى الشباب وربي الله يكفينا

واجعل إلهي خير العمر آخره — واجعل ختامي بالاخلاص مقرونا

ألحقني الله بالهادين من كملوا — مروءة وقفوا إلهي والهدى دينا

يا نفس أوبي وتوبي توبة صلحت — وحصلي الزاد بالتقوى وتبكينا

(كبا، 2011: 431/2). ونمثل للشعراء الذين عبروا عن مشاعر شوقهم وحنينهم إلى مرحة الشباب والصبا بالشاعر الصحراوي مختار الحامد (ت. 1985م) حين يقول:

وبنرجسٍ ردّ الطفولة والصبا — في عين هاتيك المهاة المطفل

إن كانت إلاّ نظرة عرضاً وقد — أمست ممس راهبٍ متبتل

فرجعت أصغر والمشيب مقنعي — ومحنكي (من ذي تمام منخَلِ)

رفقا بمن ضحك المشيب بفوده — (فبكيت حتى بلّ دمعي محملي)

رحل الشباب وليته لم يرحل — يا في سبيل الله من مترحّل

قل للشباب إذا نزلت بحيّه — ولقيته ولقتم في منزل

(لو كنت أعلم أن آخر عهدكم — يوم الرحيل فعلت ما لم أفعل)

ولقد صرفت على المشيل سويعة — فوّتها في جنح ليلٍ أليل

(القشاط، 1996: 124–125).

2.2. معاني شعر الجنين

درسنا في المبحث السابق أبرز الأسباب التي ساعدت على ذيوع شعر الحنين لدى شعراء المنطقة، وفصلناه بشكل فيه غنية كافية وشافية للقارئين. وبعده كان ولا بُد من الوقوف على معاني شعر الحنين لدى شعراء المنطقة. ولعل أهمَّ هذه المعاني هو شوق الشاعر الإفريقي إلى وطنه، وتصويره مشاهد الوداع التي فطرت قلبه، وأثر هذه الغربة في نفس المغترب، ووصف ما يعانيه المغترب في أثناء اغترابه، وتذكره أيامه السعيدة في الوط ، وملاعب الصّبا والشباب، وتفضيله البقاء في الوطن مع ما يتعرض له من مآس على الرحيل والغربة. كذلك من المعاني الأخرى وصفه لحظات اللقاء، إن عاد إلى أرض الوطن، وإن لم يعد نراه يؤكد على البقاء على العهد والوعد، ثم يذكر الشاعر أسباب الاغتراب كونها من معاني شعر الحنين، إضافة إلى غلبة المعاني المعنوية على المعاني الحسية.

2.2.1. تصوير لحظات الوداع

مواقف الوداع من المواقف الإنسانية السامية، فهي لحظات من أصعب اللحظات في حياة كثير من الناس؛ حيث يعجز اللسان عن وصف ما بداخله من مشاعر. وإذا تصفحنا المصادر الأدبية في الأدب العربي الإفريقي فإننا نعثر على هذه الظاهرة بشكل لافت للنظر. فقد رسم شعراء المنطقة مشاهد الوداع في شتى قصائدهم بشكل مؤثر، يبعث في النفس الكآبة والمرارة، والحزن. فممن صوّر لحظات الوداع الشاعر ابن المقداد السنغالي (ت.1983م) الذي يقول عند موادعته امرأة يقال لها (آن):

البين من آن يا خلّي قد آنا — وراعك البين لمّا آن من آن

إن راعك البين منها قبل موقفه — ما الرأي إن ركبت (كَمْرَكَ) أو آنا

(صمب، 1978: 100/1). كانت تلك السيدة أتت إلى أنذر، وأتت من تلك القرى التي على شاطئ نهر السنغال، وعادت

OPEN ACCESS creative commons COPE

في سفينة كانت بريدا آنذاك يعرفها، ولا يزال يعرفها الكثير من سكان هذه الشواطئ. ونلاحظ في هذين البيتن كيف كان يتأسف الشاعر عند وداعه آنْ. ومن الشعراء الذين صوَّروا ساعة الوداع الشاعر الشيخ محمد الهاشمي حين ودع والده محمد المنصور إلى الحجّ:

أنذرنا بالنوى الغرب في سحر وأودع القلب نار الحزن والضرر

وفاء بين العشائين غراب نوى من الحجاز ونادى الشيخ للسفر

(كبا، 2011: 599/2). وممن وصف لخطات الوداع الشاعر ألفا أحمد– على قيد الحياة– حينما التقى بشقيقه محمد الحبيب في دار الهجرة أثناء مناسك الحج، فودعه إلى فرنسا مقر عمله، قبل أن يعود هو إلى وطنه غينيا بيساو:

بكيت وما لحبي واشتياقي ولكني لحزني بالفراق

فراق أخ شقيق ليس يغزي لأحلاف المراء ولا النفاق

يغادرني وفي الأحشاء وجد وها أنا ذا ألاقي ما ألاقي

وهل ستزيع وحشتنا دموع هل الأيام تمنح بالتلاقي

أم الادلاج في جنج الليالي أم الاسهاد عن سنة المآق

شكوت إلى الرحيم فيا لحزني وأشكو بثّ بيني واحتراقي

(الصالح، 2015: 467). ويقول الشاعر محمد المختار بن حوّد الأنصاري المالي (ت.1882م):

فلما رأيت الشوق لا بدّ قاتلي نهضت إلى أقتاد أعوج بازل

هبلّ كأن الرحل فوق سراته على قارح من ماء كرْوَي ناهل

يبيت نسيف البقل حول كناسه ويسحَلُ عن أُتَنٍ حيالٍ حلائلِ

يطاردها في الآل كل هجيرةٍ على محز إلآتٍ صلاب ذوابل

يشجُّ بها أعلى الشّعافِ وتارةً يطوف بها حول الهضاب القواعل

على مثله أجلُو الهموم وأمتطي إذا ما أتت إحدى الليالي بهائل

نعم قد وردنا ماء هور غديّة فقلت الأهل من مجيب لسائل

فقالت لنا سوداء لا درّ درُّها أفي فدفد قفر محطّ المسائل

فبرّح بي فقدُ الأحبة كلهم وزاد الذي بي من هوى غير زائل

فلما توادعنا وداعا وأُعْمِلت إلى بئر تاغُوتَلَّ أيدي الرواحل

وحنَّت إلى دار السلام وصُقْعِها بكيتُ عليه بالدموع السوائلِ

(القشاط، 1996: 27–28).

2.2.2. وصف ما يعانيه المغترب في أثناء اغترابه

إنّ الشاعر المغترب قد يتكيّف في البيئة الجديدة التي يسكنها بعد مغادر وطنه ومسقط رأسه؛ لسبب من الأسباب، وقد لا يتكيف. وفي حالة عدم التكيُّف نرى صوته يرتفع بالشكوى والحنين، فينظم القصائد يحنّ فيها إلى وطنه، وقومه؛ بل وإلى لغته. فمن الشعراء الذين عبّروا عن شدة معاناتهم وآلامهم؛ نتيجة لغربتهم وبعدهم عن أوطانهم الشاعر سيدي عبد الله ولد أحمد دام (ت.1867م)؛ الذي حنّ إلى وطنه وقومه ولغته قائلا:

أصابت بي الأيام أيا وأيما فيا هميا لي من نوادي وهيما

نشأت بأرض لا أود بأهلها أعز أناس في البلاد وأكرما

وها أنا أسعى بين ناس تخالني لديهم إذا خاضوا الأحاديث أبكما

خليلي ما ضاق الصدرو لغربة كغربة باد لا يرى غير أعجما

ولا التهبت ذكر صديق كماجد تعد لدية ريبة الخل مأثما

يرد على الندمان بالكأس مثلها وأي مجال خضت فيه تقدما

(القشاط، 1994: 221). فالشاعر كما يبدو جليا من خلال الأبيات كان في أوساط مجتمع لا يعرف لغتهم، كما لم يجد في ديار الغربة من يستحق أن يتخذه صديقا له، فاشتكى من الحال التي هو فيها، وحنّ لا إلى وطنه فحسب بل إلى قومه ولغته.

2.2.3. ذكر أسباب الاغتراب

إنّ هناك أسباب عديدة مدعاة إلى الغربة والارتحال من أرض الوطن، عدّ منها، طلب العلم، الرغبة في أداء فريضة الحج، الفرار من اضطهاد الحكّام والسلطة، الرغبة في السفر والتنقّل، والحروب. ومن خلال دراستنا لمضامين شعر الحنين لدى شعراء المنطقة ألفينا على مجموعة من النماذج التي يمكن أن نمثل بها كأسباب للاغتراب والرحلة. من بينها قصيدة الغيني الحاج عبد الرحمن باه ــعلى قيد الحياةــ التي يذكر فيها سبب رحلته:

خرجتث ناويا لبيت الله يوم الخميس شاكرا لله

وكان وفدنا منظما على ثلاثة أذكرهم على الولا

وصلت بالمطار في كوناكري بعد العشا في قعدة بالعاشر

وحين أيقن السواق أنها قد بلغت حرارة تطيرها

ثلاث ساعات ونسف بعده وصولنا لاغوس ثم عنده

بعد الطواف السعي والحلاق كان التحلل وحمد الباقي

(كبا، 2011: 541/2) فالشاعر من خلال هذه الأبيات يذكر لنا سبب غربته، وهو زيارة الأراضي المقدسة؛ لأداء المناسك. ومن الشعراء الذين ارتحلوا من أوطانهم رغبة في السفر والتنقل الشاعر جرنُ حامد آنْ السنغالي (ت.1956م) الذي كان كثير الترحال. فقد نظم قصيدة في طريقه لزيادة أحد مشايخ زاوية الطريقة المريدية في قرية يقال لها كَحيْل، يذكر فيها سبب رحلته، فقال:

أيها الراكب المجدّ ذميلا تقطع البيد بكرة وأصيلا

قاصدة مغتى الأحبة بلغ عني اليوم إن وصلت وصولا

وحقيق عليك تبليغ ما أر سلت حقا إذا بعثت رسولا

بلغنهم أني وحت كحيلا قد غدى للزمان طرفا كحيلا

سل سبيلا إليه واسل سواه بعيون يريكها سلسبيلا

(صمب، 1978: 186/1). يبين الشاعر في الأبيات السابقة السبب الدافع إلى ترحاله، وهو الرغبة منه في زيادة ديار أحبّته.

فهذا نكون قد وقفنا في الصفحات السابقة على بعض من معاني شعر الحنين في الأدب العربي الإفريقي من خلال استعراضنا لشعر شعراء المنطقة وقصائدهم المختلفة، التي تحمل هذه المعاني. فتعرضنا أثناءها على مواقف الوادع ولحظاته، وأثرها على نفسية الشعراء، بالإضافة إلى تعرفنا إلى وصف ما يعانيه المغترب في أثناء اغترابه، كما تعرفنا أيضا من خلال معاني شعر الحنين على أسباب الاغتراب.

الخاتمة

شعر الحنين فنّ شعري أصيل يرتبط بالحياة، فهو من الفنون التي تعنى بتصوير جوانب من الحياة، وتكشف عن الكثير من الحقائق التي يغلفها التاريخ، ومن خلال دراستنا موضوع الحنين في الشعر العربي الإفريقي توصلنا إلى مجموعة من النتائج، أهمُّها هي:

أن ظاهرة الحنين كانت لها حضور كبير في الشعر العربي من الغرب الإفريقي. فقد كثرت ملامحه، وتعددت أسبابه، ودواعيه، ومثيراته المتمثلة في أطلال الأحبّة، والرياح والأمطار، ولمع البرق، وتغريد الطيور، وزيارة طيف المحبوب ليلا، إضافة إلى تلك المواقف والأحداث التي مرّت ببعض الشعراء، كالفِراق والطرد.

أنّه قد تبين من خلال البحث أنّ الرحلة والإبعاد والاعتقال وغيرها كانت تربة خصبة لإزدهار شعر الحنين من قبل الشعراء المبعدين عن أوطانهم وأهليهم. فصدر موضوع الغربة والحنين عن عاطفةٍ صادقةٍ، وإحساسٍ مرهف،

OPEN ACCESS creative commons COPE

ونفوس معذبة، تجرعت مرارة الغربة. فكان حنين بعض الشعراء إلى الوطن من أصدق ما قيل في هذا الاتجاه، وقد اتّسم في معظمه بسلامة الأسلوب، وبساطة المعاني والألفاظ، وروعة التصوير.

من خلال الصورة الفنية عند شعراء المنطقة توصل البحث إلى أن هؤلاء الشعراء قد تأثروا بالتراث العربي القديم في رسم الصورة الفنية، فاستخدموا كثيرًا من المعاني والصور القديمة في التعبير عن أحاسيسهم ومشاعرهم من خلال حنينهم لأوطانهم وأهليهم، كما تأثروا ببيئتهم، واستوعبوا ثقافة عصرهم. وظهر ذلك واضحًا جليًا في معانيهم وأفكاره، وصورهم وأخيلتهم، فأبدعوا صورًا مؤثرة يزدوج فيها القديم والجديد.

خلّص البحث إلى أن شعر الحنين كان يصدر عن شعراء المنطقة الذين ارتحلوا عن أوطانهم، وحلّوا في ديار غريبة بعيدًا عن أوطانهم، بغض النظر عن الأسباب التي كانت وراء غربتهم، لكن اللافت للنظر أن شعر الحنين اقتصر على الشعراء الرجال دون الشاعرات من النساء، فلم يكن للمرأة حضور في شعر الحنين من خلال نظمها للأشعار.

وأخيراً، فما سقناه في هذا المقال من شعر الحنين في الأدب الإفريقي، لا يعدو أن يكون شذرات قليلة من فيض كبير. وقد لاحظنا أنّ الشعراء الأفارقة قد عبروا عن الحنين والشوق بمعانٍ بديعية، استخدموا فيها أصنافاً من أساليب البيان. فجاءت قصائدهم دقيقة الوصف، واضحة المعاني، جيدة السبك، تميل إلى الرقة. وقد تميز إنتاجهم الشعري بأنه عربيّ في وعائه اللغوي والأسلوبي، وإفريقي في ملامحه البيئية.

المصادر والمراجع

ابن الرومي، علي بن العباس. (2003). ديوان ابن الرومي، تح: حسن نصار، القاهرة: مطبعة دار الكتب والوثائق القومية.

ابن منظور، محمد بن مكرم. (1990). لسان العرب، بيروت: دار صادر، ط1.

الأزدي، ابن دريد. (1344). جمهرة اللغة، تح: رمزي بعلبكي، بيروت: دار صادر، ط1.

أغاكا، عبد الباقي شعيب. (2003). الأدب الإسلامي في ديوان الألوري، إلون: مركز المحفوظات العربية، ، ط2.

امرئ القيس، الكندي. (1985). ديوان امرئ القيس، تح: أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار المعارف، ط4.

انياس، الحاج محمد. (1988). خاتمة الدرر على عقود الجوهر في مدح سيد البشر، طوبى: المؤسسة السنغالية للطباعة.

البرتلي، الطالب محمد. (1981). فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تح: محمد حجي، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

التميمي، مالك بن ريب. ديوان مالك بن ريب، حياته وشعره، تح: نورى حمودى، القاهرة: مجلة معهد المخطوطات العربية.

التنبكتي، أحمد بابا. (2000). معارج العصود، تح: فطمة الحارف– جون هانويك. الرباط: منشورات معهد الدراسات الإفريقية.

جابتي، محمد كرنلا. (د.ت). الأقران الكبويون، غامبيا: مخطوطة.

جنيد، الوزير. (د.ت). ديوان شعر، نيجيريا: د.ن.

الجوهري، اسماعيل بن حماد. (1990). كتاب الصحاح، تح: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين.

ديارا، سيدي. (2003). شخصية المرحوم دنب واكي وآثاره، بحث التخرج في كلية الآداب واللغات والفنون والعلوم الإنسانية جامعة بماكو.

زبادية، عبد القادر. (1974). مملكة سنغاي في عهد الأسقيين (1493-1591 م)، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

الزمخشري، جار الله أبو القاسم. (1998). أساس البلاغة، تح: محمد باسل بيروت: دار الكتب العلمية، ط1.

السالمي، عمر. (1992). الكنز الأوفر في سيرة شيخ الإسلام في غرب إفريقيا الشيخ سالم الأكبر، باريس: البستان.

الشفيع، أحمد الحسني. (لات). ديوان اللؤلؤ المنسوق في أشعار آل السوق، غاوو: مكتبة غاوو، مخطوط.

الصالح، عمر محمد. (2015). الثقافة العربية الإسلامية في غرب إفريقيا، جدة: دار المنهاج، ط3.

صمب، عامر. (1978). الأدب السنغالي العربي، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

طن ظوهو، غرب زاريا. (2002). محمد البخاري بن الشيخ عثمان بن فوديو، نيجيريا: شركة غسكيا، زاريا .

الفراهيدي، الخليل بن أحمد. (1409). معجم العين، تح: مهدي المخرومي –إبراهيم السامرائي، لبنان: الأعلمي

للمطبوعات.

فؤاد محمد أحمد، (1939). "الشعرة البيضاء"، مجلة الثقافة، مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون، العدد 52.

القشاط، محمد سعيد. (1994). صحراء العرب، طرابلس: دار الرواد للطباعة والنشر، ط1.

القشاط، محمد سعيد. (1996). نماذج من الشعر العربي في الصحراء، بيروت: شركة الملتقى للطباعة والنشر والتوزيع، ط1.

كبا، عمران، (2011). الشعر العربي في الغرب الإفريقي خلال القرن العشرين الماضي، إيسيسكو: منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة.

محمد أبوبكر، (2020). "مدخل إلى الأدب الإفريقي المالي"، كتاب المتون الكاملة للمؤتمر الدولي الثاني عشر للغات والدراسات الأدبية والثقافية، أنطاليا: 05-07 يونيو.

محمد الصغير بن الحاج. (1888). نزهة الحادي بأخبار ملوك الحادي، انجى: مطبعة مدينة أنجى.

الميداني، أبو الفضل أحمد. (1987). مجمع الأمثال، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم بيروت: دار الجيل، ط2.

ميغيري، محمد الطاهر. (1981). الشيخ إبراهيم إنياس السنغالي حياته وآراؤه وتعاليمه، كنو: دار العربية للطباعة والنشر، ط1.

KAYNAKÇA

Ağaka, A. (2003). *el-Adabu'l-İslami fi divani el-İlverî*, İlwan: Merkezü'l-mahzufâti'l-Arabiye, 2. baskı.

Diabate, M. *el-Akrânu el-Kabaviyun* (Gambia: özel kütüphane, yazma eseri).

el-Bartilî, M.(1981). *Fethu'ş-şükûr, fi ma'rifeti a'yâni ulemâ-itekrûr*, thk. Muhammed Hacı, Beyrut: Dârü'l-Garb el-İslami.

el-Cevherî, İ. (1987). *eṣ-Ṣıḥâḥ*, thk. Ahmed' Abdulgafûr Attâr, Beyrut: Dâru'l-İlm, 4. baskı.

el-Ezdî, İ. (1344). *Cemheretü'lüga*, thk. Remzi Ba'labakkî, Beyrut: Dâru Sâdır, 1. baskı.

el-Keşşât, M (1996). *Nemâzicun Mine'ş-şiir'il-Arabi fi's-Sahara*, Beyrut: Şeriketü'l-mülteka li't-tibaa ve'n-neşri ve'tevzi, 1. baskı.

el-Keşşât, M. (1994). *Sahrâ-u'l- Arab*, Trablus: Dâru'r-Ruvâd li't-tibaa ve'n-neşr, 1. baskı.

el-Meydânî, A. (1987). *Mecmu'u'l-emsâl*, thk. Muhammed Ebû'l-Fadl İbrahim, Beyrut: Dâru'l-Cîl, 2. baskı.

el-Vezîr, Cüneyt. (trz.). *Dîvânu şi'r*, Nijerya, y.y.

Enyâs, M. (1988). *Hâtimetü'd-dürer alâ ukûdi'l-cevher fi medhi Seyyidi'l-beşer*, Tuba, el-Müessese es-Senegalliye li't-tibaa.

es-Sâgir, M. (1888). *Nuzhatu'l-hâdî bi ahbâri mulûki'l-hâdî*, Anja, Matbaatu Anja.

es-Sâlimî, Ö. (1992). *el-Kenzu'l-evfer fi sîreti şeyh el-İslam fi garbi İfrikya*, şeyh Salim el-Akbar, Paris: el-Bostan.

eş-Şefî, A. *Divânu'l-lu'lu el-mensûk fi eşâri âli's-sûk*, (Gao: Mektebetü âli şeyh Mahmud el-Hasanî, yazma eseri).

et-Timbuktî, A. (2000). *Mi'râcu's-sûd*, thk. Fatma el-Hârif- Jon Hanvik, Rabat, Menşûretü Ma' had ed-Dirâsatü'l-İfrikya.

OPEN ACCESS creative commons COPE

Fuat, M. (1939). *eş-Şa'ratu'l-beyza*, Mecelletü's-Sekâfe, Mecelletün usbû-iyye li'l-âdâb ve'lulûm ve'l-funûn, sayı 55.

İbn Manzûr, M. (1990). *Lisânü'l-ʿArab*, Beyrut: Dâru Sâdır, 1. baskı.

İbnü Rûmî, Ali. (2003). *Dîvânu İbn Rûmî*, thk. Hasan Nazar, Kahire, Matbaatu Dârü'l-kutub ve'l-vesâik 'il-kavmiyye.

İmruü'l-kays, (1985). *Dîvânu İmrüu'l-kays*, thk. Muhammed Ebû'l-Fadl İbrahim. Kahire: Dâru'l-Maârif, 4. baskı.

Kaba, İ (2011). *eş-Şi'rul-Arabî fi'l-garbi'l-İfîki hilale'l-Karni'l-işrin el-mîlâdî*, Menşûrâti'l-munazzameti'l-islâmiyye li't-terbiye ve'l-ulum ve's-sekâfe, İSESKO.

Maygarî, M. (1981). *Şeyh İbrahim Enyâs es-Senegalî Hayâtuhu ve ârâ-uhu ve teâlîmuhu*, Kano, Daru'l-Arabiye li't-tibaa ve'n-neşri, 1. baskı.

Muhammed E. (2020). "Medhalun ila'l-edebi'l-İfrikî el-Mali", *Kitabu'l-mutûni'l-kâmile li'l-mu'temeri' d-devli es-sânî aşara li'l-lügati ve'd-dirâsâti'l-edebiyye ve's-sekâfe*, Antalya: 05-07 Haziran.

Salih, Ö. (2015). *es-Sekâfe el-Arabiyye el-İslamiye fi garbi İfrikya*, Beyrut: Daru'l-menahiç, 3. baskı.

Samba, A. (1978). *el-Adabu'l-Arabi es-Senegali*, Cezayir: eş-Şerike el-Vataniye li'n-neşir ve't-tevzii.

Zemahşeri, E. (1998). *Esâsû'l-belâğa*. thk. Muhammed Bâsil 'Uyûnu's-Sûd. Beyrut: Dârü'l-kutubi'l-'ilmiyye.

Zibâdiye, A. (1974). *Memleketu Songay fi ahdi el-Askiyiyiin (1493-1591)*, Cezayir: eş-Şerike el-vataniye li'n-neşri ve't-tevzii.

Zûhû, G. (2002). *Muhammed el-Buhârî b. Şeyh Osman b. Fode*, Nijerya, Şeriketü gaskiya Zâryâ.